

الحياة تمضى من الباب الضيق « اندريه جيد» لا فرق يامولاي بين النهر والمجرى

الي الشاعر علي عبد القيوم
في ذكراه التاسعة

بقلم: د عبد القادر الرفاعي

هذه المرة كانت المناسبة مناسبة سعيدة، لقد جاء علي عبد القويم الي القاهرة في عام ١٩٩٤م وسميح لنا ان نلتقي في دار استاذنا محبوب عثمان، نتيجة حظ استثنائي ب: الاستاذ التيجاني الطيب، سمير جرجس، د. منصور نصيف، محمد عبد الغفار «شيخ العرب»، الشيخ عوزة، وشخصي... وكان الاستاذ فاروق ابوعيسى هو صاحب الدعوة احتفاء بالشاعر علي عبد القويم وتبع ذلك امسية اسطورية، غناء وموسيقى وشعر وذكريات واحاديث عن العائلة والجدور والانتماء، عن القهر وصمود الشعب السوداني في مواجهة «الانقاذ». وكل ما يعود كما يبدو لزمن طويل مضى وحاضر متقل بالمعاناة الراهية التي تعرض لها السودان وشعبه.

قرأ علي عبد القويم مجموعة من اشعاره كانت بالنسبة الي اقرب ما تكون الي (حجة الوداع) وانتهت ب: «خاطر الموت» وبيّن البداية والنهاية مسافاتلحنيين وحوار مع الذات- الاصدقاء وامنيات للأخريين ورفاق الدرب، كان الالاف فيها للاهتمام ان علي عبيد القويم يحتسي بالماضي في مواجهة الموت، يتوق وفرح وحرارة مشاعر دافئة، وظل يهرب الي عالم آخر وزمن آخر واناس مازالوا يبنضون في دمه.

اعيد هنا جانباً من ثلاثة نصوص من اشعاره في تلك الامسية الراحلة الفريدة (كانت بحق امسية الوداع).. نصوص لكنها ليست ككل النصوص الاخرى، وكما ذكرت عليا ترائي امام ناظرى يقرأها علي... وفي ذكراه التاسعة اكتب عنه وعنهما، لان الكتابة عنه تلزما بحفظ عهد وكلمات من لم يعد باستطاعته ان يودعنا بغيرها. في النص الاول علي يقول:

كان حد الموت مشهورا علي حد السلاح

وصلاح، الفتى السمع المحيا

ينشر الاقمار في درب اليسار

الشيوعيون لما ينعم الاحباب منهم بالتحايا

الشيوعيون ملح الارض

قوت للخناجر

والعساكر يشربون الخمر في ساح الشهيد

« نوفمبر ١٩٦٥م »

علي يقول هنا: « ينغي الأ نموت»، كلمات مخلصه لرفاقه شيوعى السودان ابان الهجوم الغادر الذي شنته القوى التي هالها صعود الحزب الشيوعى فى وسط الجماهير الشعبية.. لقد هال علياً ان يطعننا من الظهر من كان واجبه النضال من اجل تعزيز الديمقراطية العائدة فى زخم ثورة اكتوبر «١٩٦٤»

المجيدة.

علي يقول:

اية اخوان تحموت

الذين استمروا



الشعر يمنح الناس القدرة على اكتشاف انسايتهم« وتستطرد: «ولان الشعر عندما يغنى، يمنح الناس سلولنا والتناما»، وتضيف « انا اكتب لكى تلتتم جرحى وتشغى روى». ويصور هنا السؤال: «لماذا يواجه علي عبد القويم طعم المعارك ومعانى الموت والاستشهاد والاحزان والآلام... ثم الخلود؟؟ ان تلك المعنى فى ابسط حالاتها لا تدعو ان تكون ذرة واحدة فى بحر لجى الامواج.. تتسن فيه الرياح... ما ضاع فيها المجداف ولا ضاع الملاح.. هكذا كان يفكر علي عبد القويم.. ولكنه رغم ذلك، كان يلج على اكتشاف تفسيرات كافية.. فى الحالتين كان علي يفكر بالشعب والناس ويكفاح السودانيين صعودا وهبوطا.. وبالطبع فان التسمنين لانتطويان على معنى اخر غير معناها، ذلك ان الكثيرين ممن هبطوا، مازالوا راسخين على تلك الارض.. ولعله استدرك: ان جميع الذين فى تلك الامكنة قد نالوا المجد»، وهم الان عاكفون على حل لغز الزمان والمكان.

النص الثالث لعلى عبد القويم، ليس معى الان، وعبئا حاولت العثور عليه فلم افلح، النص مثبت فى ديوان شعره « الخيل والحواجز»:

« فى ظلمة الليل الذى أسرى

مرة ثانية.. عرفت ساعتئذ باننى كنت اهبط واصعد وعرفت اكثر انها احدى حالتين: « هبوط وصعود» يبلغها كل من يتعرض للغدر الرهيب ام « ان الحياة تعبر من الباب الضيق».

ايها العاجز طوح

سيفك الغاشم او تصطاد نجمة

وتشأبى فوق سافيك الكسحين،

تمالك

ربما تبلغ قمة

هل رايتم يا قطيع الضان يوما

كف عجز غيرت تاريخ أمة؟!

كان علي عبد القويم فى العشرينات من عمره الجميل، اشير هنا الى النص الثانى لعلى:

أى المشانق لم تغازل شميهما

ونميط عن زيف الغموض خمارها،

أى المشانق لم نزلزل بالثبات وقارها

أى الاناشيد السماويات

لم نشدد لأعراس الجديد

بنشاشة اوتارها

نحن رفاق الشهداء.... الخ القصيدة تلك التى سارت على كل لسان- تقول الشاعرة الامريكية لوسيل كليفتون: « ان الناس يستجيبون لاغنية الشعر لان

ظلمة المستنقع الاسن دهرنا
الجماو الاطفال الحادا وكفرا
شوهوا التاريخ اسافقا وغدرا

وتماودا

شعبنا اعنى وادرى

فى دار استاذنا محبوب عثمان فى شارع الشهيد

فؤاد عبد الحكيم الجمال المنفرع من شارع الطيران

بمدينة نصر، بكى على عبد القويم وهو يحكى عن

قصيدة « كان وجه الموت مشهورا»: « لم اكن

ادر بالضبط اننى هبطت الى الارض وانا اشاهد

الهجوم الذى شنته القوى التى احدثت فى دقاتك

دار الحزب الشيوعى فى شارع السيد علي فى

بيت المال بامدرمان السى ركام وخرائب.. فى ثوانى

هدموا الجدار وحطموا المقاعد والآلة الكاتبة، وسقط

الشباب الشيوعى على الارض، كسور ورضوض فى

الساقين والأيدي والاسنان.. وكدمات فى الوجوه

ادري ان كنت سقطت على الارض بعد ان انتنت

ركبتاى فركمت كالذى يصلى، ام انتنى غبت عن

وعىي.. ثم تبدل حالى فأرتقيت ملحقا فى فضاء

واسع مترام لا تحده حدود.. انتنت ركبناى مرة

اخرى وأوجعنى اسفل قدمى حين ارتطمت بالارض

على عبد القيوم السينمائي والشاعر



كان يسود الحياة الثقافية والفكرية فى بداية الثمانينيات بفضل الإغتراب والضياع ، رغم أن بقاءه فى السودان لم يتواصل لأكثر من ثلاثة أعوام ، قضاهما محاولا أن يضع بصماته كسينمائي سوداني ، بعد سنوات مضنية قضاهما فى دراسة فنون السينما ببولندا فأخرج فيلمه القصير (اربعة أيام فى جزيرة سعاد) (١٦م ٢٦ دقيقة) والذى يصور فيه تجربته الزار فى السودان فى هذا الفيلم تتحرك الكاميرا وسط عالم من المهمشين والمخدوعين يقاومون بشدة ظريف حياتهم القاسية وسط إيقاعات الزار المجنونة لتتحول تلك الإيقاعات إلى مناخ درامى تتحقق فيه وحدة الجو النفسى ، المكان هنا مجرد من أية هوية ، وأنماط من بشر لا يجمعها سوى الوهم المشترك ... وقد شارك الفيلم فى مهرجان (اوقادوفو) ببوركيما فاسو عام ١٩٨٢م عاش علي عبد القويم حياته متنقلا ، لم تكن حريته تلك أكثر من شبح يطوف به العالم متحررا من أي التزام ، فقيرا بصورة شبه دائمة ، وكان يمتلك وراء مظهره المكتتب

بقلم المخرج السينمائي عبدالرحمن

نجدي من كتاب (ترى من انطق الحجر ..على عبد القويم ١٩٤٣ ١٩٩٨م) (ساكون حيث عشت حياتى متوازن الذات أمام الطارقات لأواجه الليل والعواصف... والجوع والسخف ... والحوادث و لإخفاقات كما تفعل الأشجار والحيوانات) (والت إيتمان)

لم تكن السينما فى السودان بالنسبة للكثيرين منا أكثر من حلم ، جاء وقت كاد بعضنا أن يصدقه ولكن سرعان ما انطفأت الديمقراطية لتطفئه معها اخرون كانوا أكثر واقعية فاعتبروه عالما بلا ملامح أو - على الأقل - لا يمكن التعرف على ملامح خصوصية له ، ففضلوا الإبتعاد أو الهجرة إلى بلاد الله الواسعة وقليلون انسحبوا (قرفا) ومن هؤلاء كان السينمائي والشاعر (علي عبد القيوم) والذين يعرفون طبيعة علي عبد القويم يدركون مغزى هذا الكلام ، فهو لم يستطع أن يتواءم مع ذلك الجو الخائف الذى

روحاً متمردة ومتماسكة ، وميلاً واضحاً للدعابة وكريماً لانتخطه العين. ولد علي فى عام ١٩٤٣م ، وتخرج ببيكالوريوس الآدب فى جامعة الخرطوم عام ١٩٧٠م ثم سافر لبولندا لدراسة فنون السينما باكاديمية الدولة العليا بلوزد التى تخرج فيها عام ١٩٧٨م وعلى عبد القيوم شاعر وكاتب معروف ، ومن مؤسسى المسر الجامعى ، واحد رواد حركة السينما فى السودان ، عمل بالترجمة وكتب تمثيلية للإذاعة بعنوان(عشرون عام فى محاكمة صديق) بثت عام ١٩٧٠م بدأ النشر منذ عام ١٩٦٤م ومثل السودان كمنودب عن اتحاد الأدباء والفنانين السودانيين بمؤتمر الكتاب الآسيويين والأفارقة فى نيودلهي عام ١٩٧٠م ، كما مثل السودان أيضا بلجنة الثقافة السينمائية المنعقدة بالكويت باشراف لجنة التخطيط الشامل للثقافة العربية التابعة لمنظمة الإيسسكو بدأ حياته العملية متأخرا بالعمل رئيسا لوحدة الإنتاج بمؤسسة الدولة للسينما فى الفترة من (٨١ - ٨٢) حقق فيها فيلمه القصير (اربعة

على عبد القيوم السينمائي والشاعر

أيام فى جزيرة سعاد) وأشرف وساهم فى إنتاج عشرة أفلام دعائية لشركة بيطار المحدودة الخرطوم ، كما أشرف على كوادر السينمائية فى الدورة التى نظمتها المؤسسة مع مؤسسة الأوديكام الفرنسية. خلال تلك الفترة تعاون مع شعبة الإعلام بمعهد الدراسات الإضافية بجامعة الخرطوم ، وأشرف على بحوث مجموعة من الطلاب ، كما قام بتدريس تاريخ نظرية السينما، ومادة النقد التطبيقى ، بالمعهد العالى للموسيقى والمسرح. غادر دولة الكويت فى بداية عام ١٩٨٤م للعمل فى وظيفة باحث ثقافى بالمجلس الوطنى للثقافة والفنون ثم مترجما بمعهد الكويت للأبحاث العلمية، ورئيس قسم الإعلام والمعلومات فى الفترة من (٨٦ - ١٩٩٠م) وهناك كتب السيناريو الخاص بالفيلم الوثائقى الإعلامى (معهد الكويت للأبحاث العلمية) مدته ٣٠ دقيقة بعد حرب الخليج انتقل للدوحة للعمل فى قسم العلاقات العامة بمنظمة الخليج للإستشارات العلمية وفى عام ١٩٩٧م غادر لقرص ثم بولندا لتكون محطة الأخيرة - كما خطط لها - ليعود بعدها للسودان مثواه الاخير رحم الله علي الذى زاملته عندما ضمنا مكتب واحد بمؤسسة الدولة للسينما كما جاورته فى الدوحة ورحامن الزمان .

متون

جامعة الخرطوم وصدرت له عدة مؤلفات عن تاريخ السودان سلطنة دارفور، تاريخ النوبة الاجتماعى الاقتصادى، ولمحات عن تاريخ سلطنة الفونج، ويعكف حالياً على نشر ثلاثة مؤلفات عن الدولة السودانية، ونشأة وتطور الرأسمالية السودانية بالإضافة الى التاريخ الاجتماعى للتركية فى السودان.

اسم الكتاب: تطور المرأة السودانية وخصائصها

المؤلف: تاج السر عثمان صالح

الناشر: دار عزة للنشر والتوزيع- السودان- ٢٠٠٧م

عرض: د. سهى محمد الحسن

يقع الكتاب فى ٧١ صفحة من القطع المتوسط ويحتوى على إهداء وتقديم وسبعة ابواب وخاتمة وسجل عن المصادر والمراجع. ويقول الكاتب فى تقديمه ان فكرة هذه الدراسة نبعث من حاجة موضوعية، وهى التعرف وبذهن مفتوح على واقع وسمات وخصائص تطور المرأة السودانية فى اتصال مع تطور المجتمع السودانى. وتناول الكتاب تطور المرأة فى السودان القديم وفى سلطنة الفونج وفى المهديّة، وقبلها فى فترة الحكم التركى- المصرى ثم فترة الحكم الثانى الانجليزى المصرى، واشتملت الدراسة على وضع المرأة بعد تحقيق استقلال السودان.. وانتهى البحث خاتمة بأهم النتائج والتحديات التى تواجه المرأة السودانية.

بقى ان نشير الى ان مؤلف الكتاب الاستاذ تاج السر، انه باحث عكف على دراسة تاريخ السودان الاجتماعى بعد تخرجه فى



على عبد القيوم فارس الخيل والحواجز ١٩٤٣ - ١٩٩٨

(١) عرفته من خلال الحوش فى امدرمان
كنا نلتقيه من خلال صلاح احمد ابراهيم وعلى المك فيما تعارفنا
على تسميته بالفيللا التى كان يسكن ليها صلاح احمد ابراهيم

(٢) مساء حزين هاتفتنى فيه الراحل حسين شريف سلمى - استاذ حسين فى شنو؟ علي يا سلمى - وكنت اعرف انه فى الاردن للعلاج - على مشى وطفق بيكى نزلت فى تلك الساعة من شهقات الليل قاصدة بيت حسين شريف فى المهندسين وجدته بيكى طفل امسكته من يده واجلسته لم يكن فى رفقته أحد فقامون ابنه يعود متأخرا جلبت له ماء وجلست اواسيه خرجت من بيته عند الواحدة صباحا

(٣) كتبت ذلك الصباح فى عمود كنت احزره فى صحيفة الاتحادى ان تلتقيه معنا انك تقف امام شرع مفرودة دائما لبحار يبحر بك على فى بحار لم تراها الا لذنه بخار خاصة به، بلا سواحل همها الانسان ولاشئ بعد ذلك

(٥)

متابعات ثقافية

آمال النور فى اذاعة مونت كارلو

استضافت اذاعة مونت كارلو الفنانة آمال النور فى برنامج مخصص للموسيقى قدمه الاذاعى عصام الحاج. البرنامج معنى بتقديم الموسيقى العربية والانجليزية والفرنسية، وشارك مغنون اخرون الى جانب آمال النور فى البرنامج. يذكر ان امال النور قدمت اغنية جديدة ستصدر فى اليوم خاص بالفنانة سيطرح فى سوق الكاسيت قريبا، وفى هذا الاليوم اعمال جديدة.

حميد والوسيلة بنادى الثورة فى قراءات شعرية

استضاف يوم الاثنين الماضى نادى الثورة الحارة «١١» بامدرمان الشاعرين محمد الحسن سالم حميد وبابكر الوسيلة ضمن برنامج ثقافى لشهر رمضان. يذكر ان الامسية الشعرية والفعاليات الثقافية- موسيقى ومسرح- نظمها بالنادى اتحاد الشباب السودانى.

محمد الشامى فى كتاب جديد

صدر للشاعر محمد الشامى ديوان بعنوان « بالمعى الفصيح» جاء الديوان فى قطع متوسط واحتوى على (٣٣) صفحة. وعلى غلاف الكتاب السيرة الذاتية للكاتب والذى تلقى تعليمه ببرى المحس وتخرج من كلية العلوم والتكنولوجيا جامعة الجزيرة. وللكاتب اهتمامات بكتابة النقد فى الصحافة السودانية التى نشرت له العديد من الاشعار والكتابات النقدية.